

صانعي المعجزات بطرس الكسي وجوناس وسرجي وكل صانعي المعجزات من الروس ومن مباركتكم يا أبي فكرت في أن أتزوج . وكنت أنوي في بادئ الأمر أن أبحث عن زوجة لي في بلاط أجنبي للكم أو قيصر ، ولكنني هجرت اليوم هذه الفكرة لأن موت أبي وأمي تركني يتيماً وأنا صغير السن . وإذا اتخذت لي زوجة من بلد غريب ولم يقم بيننا وفاق فإن حالتنا ستكتنفها المصاعب . لذلك رغبت في أن أتزوج في بلدي من زوجة يختارها الله ببركتكم يا أبي » .

بعد هذا الخطاب عاد الدوق الكبير الى الجلوس ودخل مع المتروبوليت في محادثة خاصة . ومن المحتمل ان البويار صفقوا لخطابه . وبروي مؤرخ هذه الأحداث ان المجلس تأثر حتى انسكبت الدموع على الخدود نوعاً من التعبير بديلاً عن القول لأن الرجال لم يكونوا ييكون بسهولة في ذلك الزمان . لقد أعجبتهم هذه الكلمات ، وارتفعت همهمة انقلبت الى هتاف . فقد ادلى الدوق الكبير بتصريح شعبي جداً ووطني جداً ولم ياخذ أية عائلة كبيرة بعين الاعتبار . والآن يستطيع أي نبيل من الفصر مهما كان متواضعاً ان يعتبر نفسه حماً ممكناً لسيد البلاد ، ولم يكن إيفان قد أعلن اختياره . وسرت إشاعة فوراً في المجلس بأنه لم يكن قد اتخذ أي قرار بعد وأنه قرر ان يتبع التقليد القديم في أن تجلب له الى الكريملين كل الفتيات من ذوات المعتد ليراهن ويختار من بينهن من يشاء . وقد سببت هذه القضية اضطرابات كبيرة في جميع أنحاء البلاد ، فحتى أولئك الذين لم يكن لديهم بنات كانوا يعيشون في حمى الانفعال لأنهم يمكن أن يكونوا على الأقل اعماما او اخوالا او ابناء عم للعروس السعيدة .

ولم يكن إيفان في مختلف فترات حكمه بعيداً عن الشعب . ولكن هذا القرار كان أول من عقد تصويت الأمة له . فقد كانت زوجات الفراندوقات السابقيين الأجنبيات من أمثال صوفيا زوجة إيفان الثالث وهيلانة زوجة فاسيلي الثالث مكروهات من البويار ، فلماذا يتزوج الفراندوقات من الخارج ؟ اليس النساء الروسيات أجمل نساء العالم ؟ .